

الخطاب الدعوي المعاصر "أهم العيوب وسبل علاجها"
Contemporary advocacy discourse
"The most important defects and ways to treat them"

نوال واشم^{1*}، جامعة باتنة 1- الحاج لخضر، الجزائر،

مخبر الفقه الحضاري ومقاصد الشريعة

naouel.ouachem@univ-batna.dz

أحمد بروال²، جامعة باتنة 1- الحاج لخضر، الجزائر،

ahmed.beroual@univ-batna.dz

تاريخ قبول المقال: 24-10-2023

تاريخ إرسال المقال: 03-10-2023

الملخص: يعاني الخطاب الدعوي المعاصر من مجموعة من العيوب والنقائص، والتي أثرت بشكل سلبي على نجاحه وانتشاره...ومن خلال هذا المقال قمنا بتسليط الضوء على:

1- مفهوم الخطاب الدعوي المعاصر.

2- أهم العيوب التي يعاني منها الخطاب الدعوي المعاصر مثل: (الغلو والتطرف، الإرهاب، والهروب من الواقع إلى الماضي).

3- كما خلصنا إلى نتائج ومقترحات لعلاج هذه العيوب مثل: (ضرورة تدريب الدعاة وتكوينهم نظرياً وميدانياً بطرق ومناهج علمية، ربط الخطاب الدعوي بالواقع وجعله قادراً على مواجهة التحديات الواقعية بتفعيل فقه الواقع وفقه الأولويات، محاكاة الخطاب القرآني في الدعوة، فهو خطاب متوازن ووسطي وبعيد عن الغلو والتطرف، وبراغي الفطرة الإنسانية والسنن الإلهية في الأنفس والأفان).

الكلمات المفتاحية: الخطاب الدعوي المعاصر، الإرهاب، الهروب من الواقع.

Abstract: Contemporary advocacy discourse suffers from a number of defects and shortcomings, which have negatively affected its success and spread...and through this article we have highlighted:

1-The concept of contemporary advocacy discourse.

2- The most important defects that contemporary advocacy discourse suffers from, such as: (extremism and extremism, terrorism, and escape from reality to the past).

3- We also concluded with results and proposals to remedy these defects, such as: (the necessity of training preachers and preparing them theoretically and in the field with scientific methods and approaches, linking the advocacy discourse to reality and making it capable of confronting realistic challenges by activating the jurisprudence of reality and the jurisprudence of priorities, imitating the Qur'anic discourse in advocacy, as it is a balanced,

moderate, and far-reaching discourse. Against extremism and extremism, and takes into account human nature and divine laws in souls and horizons).

Key words : Contemporary advocacy discourse, terrorism, escape from reality.

مقدمة:

يعتبر الخطاب الدعوي المعاصر قضية مهمة جدا ينبغي أن تكون على رأس أولوياتنا إن أردنا أن نساهم مساهمة جادة في تشكيل وعي الإنسان وبناء عالم أفكاره، خاصة في ظل إنتشار لأمية الدينية اضافة إلى الغزو الفكري و الثقافي الإعلامي، والذي يشن حملة شعواء ضد الإسلام و المسلمين...وعند الحديث عن الخطاب الدعوي المعاصر كثيرا ما يتبادر إلى أذهاننا تلك الصورة النمطية للداعية الذي يحمل خطابا دعويا عاطفيا يفتقر لفقه الواقع وفقه الأولويات و المعاملات وغيرها...بل حتي يفتقد إلى فقه الوحدة و الإتفاق، وتقبل الرأي والرأي الآخر وقد يصل في بعض الحالات إلى تبني حالات من التطرف و الغلو و حتى تكفير الآخر المخالف في الرأي...ونجد أيضا في بعض الأحيان دعاة يكرسون بخطاباتهم الدعوية لفكرة الهروب من الواقع المر إلى أمجاد الماضي تملصا من علاج المشاكل والنوازل الجديدة...وأثر هذا النوع من الخطابات الدعوية المعاصرة على الفرد المسلم أثر بالغ فهي تبني فكرا ووعي مشوها والذي يترجم في سلوكات غير سوية ترجع بالإسلام والمسلمين آلاف الأميال نحو التخلف والجهل و الإنحطاط، لذلك توجب علينا أن نهتم بهذا الخطاب الدعوي المعاصر بغية تقييمه وتقويمه وترشيده، وذلك بتحديد جوانبه الإيجابية وتوضيح نقاط قوته وضعفه للخروج به في الشكل الأمثل و الذي يكون فيه قادرا على مواجهة الواقع بكل إشكالياته وتقديم الحلول لها.

و **الهدف** من هذا المقال هو بيان مفهوم الخطاب الدعوي المعاصر وتحديد أهم عيوبه التي تؤثر بصورة أو بأخرى في تشكيل الوعي عند جمهور المدعوين، ومحاولة إيجاد حلول لعلاج هذه العيوب التي تعوق سبيل الدعوة إلى الله.

وكل ما سبق يدفعنا لطرح الإشكالية التالية:

الإشكالية: ماهي أهم العيوب التي تعاني منها بعض الخطابات الدعوية المعاصرة؟ وماهي الحلول المقترحة لمعالجة هذه العيوب؟

وسنحاول في هذا المقال الإجابة عن هذه الإشكالية من خلال المحاور التالية :

وباستعمالنا للمنهج التالي:

المنهج الوصفي: ويتحقق ذلك بجمع المعلومات من مصادرها، وتوصيف هذه العيوب وبيان حقيقتها.

المنهج التحليلي: وذلك بتحليل هذه العيوب للوصول إلى النتائج المرجوة.

المبحث الأول : الخطاب الدعوي المعاصر.

المطلب الأول: الخطاب لغة و اصطلاحاً:

أ_ الخطاب لغة:

الخُطبة عند العرب ، الكلام المنثور المسجع ، ونحوه والخُطبة مثل الرسالة التي لها أول وآخر ، ورجل خطيب:حسن الخطبة، وجمع الخطيب خطباء، وخطب، بالضم، خطابة بالفتح : صار خطيباً ً، وفي حديث الحجاج: أمن أهل المحاشد والمخاطب؟ أراد بالمخاطب :الخطب،جمع على غير قياس ، وقيل هو جمع مخاطبة، والمخاطبة الخطبة، و المخاطبة المفاعلة، من الخطاب والمشاورة، أراد : أنت من الذين يخطبون الناس، ويحثونهم على الخروج، والإجتماع ¹ .

و الخطاب يدل على توجيه الكلام لمن يفهمه، وقد نقل علماء المسلمين الأوائل الخطاب من الدلالة على الحدث المجرد من الزمن إلى الدلالة على الإسمية، فأصبح في عرف الأصوليين يدل على ماخوطب به وهو الكلام أو الكتابة ².

ومن خلال هذه المقاربات اللغوية نتبين معاني عدة لمفهوم الخطاب، فهو:

1- مجموعة الرسائل اللغوية والرمزية و الإحائية والصوتية والرقمية الصادرة عن جهة مرسله ، باتجاه جهة مستقبله.

2- كما هو شكل من أشكال التواصل و التفاعل الاجتماعي المباشر وغير المباشر أيضاً، عبر الوسائل و الوسائط الاتصالية و الإعلامية المختلفة.

ب_ الخطاب إصطلاحاً:

وممن قدم تعريفاً لمصطلح الخطاب طه عبد الرحمن، حيث قال: "إن المنطوق به-أي الخطاب- الذي يصلح أن يكون كلاماً، هو الذي ينهض بتمام مقتضيات التواصلية الواجبة في حق ما يسمى خطاباً، إذ حدّ الخطاب أنه كل منطوق به موجه الى الغير بغرض إفهامه مقصوداً مخصوصاً" ³

ونجد أيضاً أن محمد يونس من خلال كتابه " تجديد الخطاب الإسلامي" قد قام بجمع واستعراض العديد من المفاهيم المتعلقة بالخطاب وقد خلص إلى أن: "الخطاب" هو مجمل الرموز والإشارات التي تصدر عن مرجعية معينة، تشكل صورتها و مظهرها العام، وتبرز خطوطها الفكرية، عبر عملية تواصل

¹ جمال الدين محمد بن مكرم (بن منظور)، "لسان العرب"، بيروت. 2003. ج.5. ص.98.

² إدريس حمادي، الخطاب الشرعي وطرق استثماره"، بيروت: المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر، 1994م، ص.21.

³ "اللسان والميزان و التكوثر العقلي"، طه عبد الرحمن، (الدار البيضاء: طبعة المركز الثقافي العربي، 1998م) ص.215.

بين هذه المرجعية الفكرية و الجمهور، في عملية تفاعلية يكون فيها الخطاب وسيلة لا غاية...كما لا يقتصر الخطاب في وقتنا الحالي على الوسائل التقليدية الشفهية والمنبرية الوعظية و التحميسية، بل يتعداها لينفتح على عالم وسائل الإعلام بأفائه الرحبة، وبهذه تغدو الصورة خطابا، و المواقع الافتراضية خطابا، و الكلمة خطابا، ولو ذهبنا بعيدا فإن الجسد وتمظهراته الخارجية يعد في الراهن خطابا، وعليه فالخطاب أعم مما يتخيل¹.

ومنه فإن الخطاب، بمعناه العام هو أداة التواصل بين البشر، والعامل الأساسي في تشكيل بنيتهم الفكرية وتكوينهم العقلي وتركيباتهم النفسية، وهو الوسيلة الأساسية لبلورة القنوات وصناعة المواقف والاتجاهات و التحركات على مستوى الأفراد و الجماعات، وهو أهم سلاح مشهور في الصراع الدائر للسيطرة على عقول البشر وتوجهاتهم، وأهم أداة لنشر الدين ولتسويق المشاريع الثقافية و السياسية وغيرها من المشاريع.

المطلب الثاني: الدعوة لغة و اصطلاحا:

أ_ الدعوة لغة:

جاء في أساس البلاغة: "دعوت فلاناً: ناديته وصحت به ن والنبي داعي الله، وهُم دعاة الحق ودعاة الباطل، ودعاة الضلالة"²

وجاء في المصباح المنير: "دعوت الله ادعوه دعاءً: إبتهلت إليه بالسؤال ورغبت فيما عنده من الخير و دعوت زيدا ناديته"³

وجاء في القاموس المحيط: "دعا دعاء و دعوة، بمعنى المناداة، فدعوت فلاناً ناديته...و النبي ُ داعي الله، ويُطلق على المؤذن...وداعية اللبن ، بقيته."⁴

و جاء في معجم مقاييس اللغة: "د، ع ، والحرف المعتل أصل واحد، و معناه أن تميل الشيء إليك بصوتٍ وكلامٍ منك تقول : دعوته، أدعوه دعاء"⁵

و مما سبق نجد أن كلمة دعوة وماشتق منها من معاني متقاربة تدور في مجملها حول:
- النداء ، الطلب، الحث، الرجاء، الابتغال، السؤال ، الأذان...إلخ.

¹ "تجديد الخطاب الإسلامي". محمد يونس. مكتبة الدار العربية للكتاب. القاهرة. الطبعة الأولى 2013. ص 26، 27.

² "أساس البلاغة". الزمخشري. دار الكتاب العالمية. بيروت. لبنان. الطبعة الأولى. 1998م. ج 1. ص 288.

³ المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، ، دار المعارف القاهرة، الطبعة الثانية، ج 1، ص 194.

⁴ أحمد بن محمد بن علي الفيومي، القاموس المحيط. الفيروز ابادي. ج 2. باب دعا. ص 187-188.

⁵ ابن فارس أبو الحسن أحمد بن زكريا ، "معجم مقاييس اللغة"، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، 1979م.

ب_ الدعوة اصطلاحاً:

عرفها البيانوني فقال: "الدعوة هي تبليغ الاسلام للناس وتعليمه إياهم، وتطبيقه في واقع حياتهم" ¹

وعرفها الطيب برغوث فقال: "الدعوة هي ذلك الجهد المنهجي المنظم الهادف إلى:

- تعريف الناس بحقيقة الاسلام.

- إحداث تغيير جذري متوازن في حياتهم عن طريق الوفاء بواجبات الاستخلاف، ابتغاء مرضاة الله تعالى، و الفوز بما ادخره لعباده الصالحين عالم الآخرة.

و الدعوة تشمل أمرين أساسيين هما وجهان لحقيقة واحدة:

- الدعوة مضمون رسالي، أي يتم تبليغه والإلزام و الإلتزام به.

- و الدعوة عملية تبليغ لهذا المضمون الرسالي و محاولة لتعريف الناس به، وحركة جهاد من أجل البناء و مواجهة الهدم" ²

و هذه التعريفات لا منافاة بينها وبينها فليست من باب إختلاف التضاد، ولكنها من باب إختلاف التنوع، فكل تعريف للدعوة من التعريفات السابقة الذكر غني بجانب من جوانب الدعوة وركز على، وفي أرى أن أفضل التعريفات للدعوة هو ماجاء به الدكتور بسام الصباغ حيث عرف قال: "الدعوة إلى الله هي أن يمتثل الداعية خصائص الاسلام، ويتخلق بها، فكرياً وعقيدتو إيماناً وعملاً، ثم يقوم بتبليغها للناس بحكمة بالغة ودراية تامة، و بأسلوب يناسب حال المدعوين، بالحكمة والموعظة الحسنة...، وقد أشارت سورة العصر إلى هذه المعاني، وإلى ماينقذ الانسانية من الهلاك والخسران و هو أولاً: الايمان، وثانياً: العمل الصالح، وثالثاً: الدعوة والتبليغ" ³، قال تعالى: (وَالْعَصْرِ (1) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (2) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ) (3) العصر .

المطلب الثالث: المعاصرة لغة واصطلاحاً:

أ_ المعاصرة لغة:

مفاعلة من عاصر، يعاصر، عاصر فلان فلاناً؛ إذا عاش معه في عصر واحد ..

العَصْرُ : الوقت في آخر النهار إلى احمرار الشَّمْس.

و صَلَاةُ الْعَصْرِ [يُؤَنَّثُ مع الصلاة، وبغيرها يذكَّر ويؤنَّث]، والعَصْرَانِ: الغداة والعشي، والنهار والليل.

¹ محمد أبو الفتح البيانوني، " المدخل إلى علم الدعوة "، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1991م، ص17

² الطيب برغوث، "منهج النبي عليه الصلاة والسلام في حماية الدعوة و المحافظة على منجزاتها خلال الفترة المكية" المعهد العالمي للفكر الاسلامي، ط1996، م، ص68

³ بسام الصباغ "الدعوة والدعاة بين الواقع و الهدف"، دار الايمان للطباعة و النشر، دمشق سوريا، ط2002، م.

و العَصْرُ الدَّهْرُ... والعَصْرُ الزَّمَنُ ينسب إلى مَلِكٍ أو دولة، أو إلى تطوُّرات طبيعية أو اجتماعية يقال: عصرُ الدولة العباسية، وعصرُ هارون الرشيد، والعصر الحجريّ، وعصر البخار والكهرباء، وعصر الذَّرة... ويقال (في التاريخ): العصر القديم، والعصر المتوسط، والعصر الحديث. و العَصْرُ (في الجيولوجيا): حِقْبَةٌ طويلة من الزمن تقدَّر بعشرات الملايين من السنين تمتاز بتكوُّنٍ خاصٍّ لبعض طبقات الأرض... يقال: العصر الفحمي [الكربوني]، والعصر الطباشيري¹.

ب_ المعاصرة اصطلاحاً:

يطلق على الزمان و هو العصر الذي نعيش فيه الآن. ويعرف "محمد عمارة" المعاصرة بقوله: " أما المعاصرة فإنها المفاعلة، أي التفاعل بين الإنسان-أو الثقافة أو الحضارة- وبين العصر أي الزمن المعيش، فإذا تمايزت لأمم في ثقافتها، لتمايز هويات هذه الثقافات فإنها ولا بد متميزة مع العصر الذي تعيش فيه " ².

ونجده أيضاً من بين الذين أعطوا مفهوماً للمعاصرة المفكر العربي "محمد أ رفت سعيد"، إذ يقول في هذا الصدد إن: " المعاصرة هي أن يعيش المرء في عصره، عارفاً بزمانه، مقبلاً على شأنه بأصالته، آخذاً بمقتضيات عصره " ³

وبتضح لنا من خلال تعريف "محمد أ رفت سعيد" أن المعاصرة تعني أن يعيش الإنسان وأن يتفاعل مع روح العصر وأن يكون على دراية بمقتضيات زمانه وأن المعاصرة هي المعاشية بالوجدان والسلوك للحاضر و الاستفادة من كل منجزاته العلمية و الفكرية وتسخيرها لخدمة الإنسان ورفيقه...

_الخطاب الدعوي المعاصر:

ومما سبق من مفاهيم يمكننا القول أن الخطاب الدعوي المعاصر هو: جملة ما يصدر عن الدعاة من ورسائل(رموز إشارات كلام...) تحمل مضامين فكرية دعوية تتلاءم مع متغيرات و مستحدثات العصر، وذلك بعد فهم الدعاة لظروف واقعهم وواقع المدعويين شرط التقيد بالأطر المرجعية الإسلامية من أجل إقناع المدعو وجعله يستجيب للمضمون الدعوي.

¹ المعجم الوسيط، ج2، دار الهدى، القاهرة، ط3، ص610.

² محمد عمارة "أزمة الفكر الإسلامي المعاصر"، دار الشرق الأوسط للنشر، القاهرة، (د ط)، (د ت)، ص 2.

³ محمد أ رفت سعدي "الأصالة والمعاصرة في الفكر الإسلامي": دار الوفاء للطباعة والنشر، ط 1، 2000م، ص9.

المبحث الثاني: من عيوب بعض الخطابات الدعوية المعاصرة "التطرف والغلو" المطلب الأول: مظاهر التطرف والغلو:

الغلو يطلق على إجتياز الشيء لحدده الذي وضع له، وهو عكس التوسط والاعتدال، وهو الغلو والزيادة دون ضرورة، والابتعاد عن الاعتدال ومعنى الغلو في الشرع يطلق على مجاوزة حدود الشريعة عملاً أو اعتقاداً .

وقد لخص يوسف القرضاوي في كتابه "الصحة الإسلامية بين الجمود و التطرف" ¹ مظاهر التطرف بما يلي:

أ_التعصب للرأي تعصبا لا يعترف معه للآخرين بوجود، و جمود الشخص على فهمه جمودا لايسمح له برؤية واضحة لمصالح الخلق، ولا بحق من الشرع ولا لظروف العصر،ولا يفتح نافذة للحوار مع الآخر.
ب_التزام التشديد دائما ، مع قيام موجبات التيسير، و إلزام الآخرين به مع أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: «يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا، وَبَسِّرُوا وَلَا تُفَسِّرُوا»².

ج_ومما ينكر من التشديد أن يكون في غير مكانه وزمانه،كأن يكون في غير در الإسلام،أو مع قوم حديثي العهد بالإسلام، أو حديثي العهد بالتوبة.

د_ومن مظاهر التطرف :الغلظة في التعامل،أو الخشونة في الأسلوب،و الفظاظ في الدعوة .

هـ_ومن مظاهر التطرف :سوء الظن بالآخرين.

و_ومن مظاهر التطرف استباحة دماء و أموال الناس،و اتهام جمهور النـس بالخروج من الإسلام أو عدم الدخول فيه أصلا،وهذا يمثل قمة التطرف...وهذا ماوقع فيه الخوارج في فجر الإسلام.

المطلب الثاني: أسباب التطرف و الغلو:

إن أسباب التطرف عديدة،منها ماهو فكري و منها ماهو نفسي ومنها ماهو إجتماعي و منها ماهو سياسي أو حتى إقتصادي أو قد يكون مزيجا من كل ماسبق...فقد يكون السبب إضطراب الشخص نفسياً و فكريا زد على ذلك الإضطرابات الإجتماعية والإقتصادية و السياسية والتي لها بالغ الأثر في تعزيز التطرف،ومن الممكن أن نقول أن أهم أسباب التطرف هي:

أ_ قلة الفهم وسطحية التفقه في الدين ،فتجد المتعصب يبتعد عن روح الدين ومقاصده .

ب_البعد عن مصادر العلم الرصينة والعلماء الحقيقيين.

¹ ص39وما بعدها،د،م،1412هـ،و انظرمجلة المنارالإسلامي،عدد،16،ديسمبر 1990م.

² رواه البخاري برقم69،و رواه مسلم برقم 1732 بلفظ (بشروا ولا تتفروا ويسروا ولا تعسروا).

ج_قلة الحكمة وضعف الزاد العلمي والمعرفي.

د_تفسير العقيدة وفق مصالح الفرد أو الجماعة.

هـ_الخوف من التغيير والإستكانة إلى ماهو موروث وتقليدي في المواقف والسلوكيات يولد نوعا من التشدد.

و_الإكتفاء بأخذ ظاهر النصوص الشرعية دون التعمق في الشرح و الذهاب إلى ما وراء النصوص من مفاهيم إنسانية.

ز_تقديس بعض العلماء والشخصيات وتقبل كل ما يصدر عنهم وكأنه تنزيل عزيز حكيم.

ح_إجتماع الفقر والجهل وأنظمة الحكم المستبدة.

المطلب الثالث: علاج الغلو والتطرف:

علاج التطرف يكون بمعالجة الأسباب، والفهم الصحيح والعميق للدين الإسلامي، ومعرفة مراتب الأحكام الشرعية، والإجتهاد يكون فقط فيما لانص فيه أوفيا فيه نص ظني الثبوت، أو ظني الدلالة، كما أن الاختلاف في الأحكام الفرعية والظنية لا ضرر فيه إذا كان مبني على اجتهاد شرعي صحيح...

ونصح الدكتور القرضاوي رحمه الله الدعاة بثلاث نصائح حتى لا يقعوا في فخ الغلو و التطرف :
أولاً: أن يعاملوا الناس بإعتبارهم بشرا على الأرض و ليسوا ملائكة أولى أنحة، فهم لم يخلقوا من نور وإنما خلقوا من حمأ مسنون، فإذا أخطأ فكل بني آدم خطأ¹.

ثانياً: أننا أُمروا أن نحكم بالظاهر وأن ندع إلى الله أمر السرائر، فمن شهد أن "لا إله إلا الله و أن محمدا رسول الله" حكمنا بإسلامه في ظاهر الأمور تركنا سريره إلى علام الغيوب يحاسبه عليها يوم تظهر الخفايا.

ثالثاً: أن كل من آمن بالله ورسوله، لا يخلو من خير في أعماقه، وإن انغمس ظاهره في المعاصي، وتورط في الكبائر واللاأثم فإنها وإن كبرت_تخدش الإيمان وتقص منه، ولكن لا تقتلعه من جذوره.²
وفي الأخير نقول أن الإنسان خلق على الفطرة فيه استعدادات للخير والشر ونفس الإنسان لوامة وأمارة بالسوء ومطمئنة... وتميل بالفطرة إلى التدين وتقبل الإسلام إن عرض عليها بطريقة حكيمة سليمة صحيحة قولاً وفعلًا وقدوة من الدعاة .

¹ جاء في حديث النبي صلى الله عليه وسلم (كل ابن آدم خطأ...)، رواه الترمذي برقم 2499، وأحمد برقم 12637.

² يوسف القرضاوي، "الصحة الإسلامية بين الجمود و التطرف"، مجلة المنار الإسلامي، عدد، 16، ديسمبر 1990م.

والإسلام دين وسطي يتناسب مع قدرات الإنسان التي خلق بها فهو دين وسطي في الأحكام والعقيدة والعبادات والمعاملات والأخلاق.

وحذرنا الرسول عليه الصلاة والسلام من الغلو قال: "يا أيُّها النَّاسُ إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوُّ فِي الدِّينِ فَإِنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ"¹.

والغلو والتشدد أمر لا يتماشى مع طبيعة البشر وهو شيء فوق المألوف وهو شيء مؤقت محدود الزمن فسرعان ما يسأم المتطرف والمتشدد من المبالغة في أمور الدين فتجده يتراجع عنها لأنه يعيش في صراع مع طبيعته وفطرته، وكمثال نذكر مجموعة من الصحابة تشددوا على أنفسهم فقرّر أحدهم أن يصوم ولا يفطر والآخر قرّر أن يقوم الليل ولا ينام و آخر قرّر أن لا يتزوج النساء... رغبة منهم في المبالغة في الدين... ولكن الرسول عليه الصلاة والسلام والذي يمثل النموذج الأمثل للإنسان المسلم نفى عنهم ذلك فقال: "إِنَّمَا أَنَا أَعْلَمُكُمْ بِاللَّهِ وَأَخْشَاكُمْ لَهُ وَ لَكِنِّي أَقُومُ وَأَنَا مُ وَأَصُومُ وَأَفْطِرُ وَأَتَزَوَّجُ النَّسَاءَ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي"².

ومن المؤكد أن فشل الكثير من الحركات الإسلامية على مدى التاريخ يعود بشكل أساسي إلى خطابها الدعوي المتطرف والمتشدد والذي يتناقض مع روح الإسلام الوسطي والمعتدل، و يعتبر تشدد بعض الحركات الإسلامية تحدي داخلي لا ينبغي التغافل عنه في ظل مجابهة التحديات الخارجية التي يحولها أعداء الإسلام والمسلمين فالأخطر من الخطر الخارجي هو الخطر الداخلي بجموده وتطرفه فهو بذلك يشوه الإسلام ويزور حقيقته... كل ذلك بسبب سطحية الفهم والعلم وقلة الحكمة.

المبحث الثالث: من عيوب بعض الخطابات الدعوية المعاصرة العنف والإرهاب.

من أخطر ما أصاب بعض تيارات الفكر الإسلامي والحركات الإسلامية هو الغلو والتطرف والذي يتحول إلى إرهاب في بعض الأحيان ضد كل من يعارض ويخالف هؤلاء المتطرفين في التوجه والفكر... وعلاقة التطرف الغلو بالإرهاب علاق وطيدة فالتطرف والغلو عبارة عن فكر وسلوك وإذا تحول إلى عدوان وقوة فإنه يصبح إرهاباً يؤثر على أمن وطمأنينة الناس ويحملهم على الخوف والرعب.

المطلب الأول: معنى الإرهاب: من الناحية اللغوية نجد في مختار الصحاح، "الإرهاب من رهب بمعنى خاف، و أرهبه واسترهبه بمعنى أخافه"³،

و في القرآن الكريم نجد الرهبة بمعنيين :

¹ رواه النسائي برقم 3057، ورواه ابن ماجه بلفظ قريب برقم 3029، و أحمد برقم 1854.

² رواه البخاري برقم 4772، ورواه مسلم برقم 1401 بلفظ قريب.

³ محمد ابن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1967م، باب رهب، ص259.

المعنى الأول: هو الخوف من الله قال تعالى: (وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ ۚ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ ۚ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ) (النحل: 51)، وقوله تعالى: (يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ) (البقرة: 40)، وقوله تعالى: (فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۚ وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ) (الأنبياء: 90)، والخوف من الله يحمل المعنى الإيجابي لأنه يؤدي التقوى و الإلتزام بالوعد و الحفاظ على المواثيق.

المعنى الثاني: تخويف الإنسان للإنسان، فريهب القوي الضعيف والظالم المظلوم، كما فعل سحرة فرعون بالناس، قال تعالى: (قَالَ أَلْقُوا ۚ فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ) (الأعراف: 116) و هنا يكون الإرهاب عدوان وظلم...

كما وصف القرآن الكريم مواجهة العدو الظالم بالقوة بالرهبة، قال تعالى: (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ) (الأنفال: 60) وهنا يكون الإرهاب كرد فعل عن الظلم والقهر.¹

أطلقت كلمة الإرهاب في العصر الحديث على كل من يسلك مسلك العنف و الترهيب لتحقيق أهدافه وغاياته بالغصب و القهر، ولم يتم الاتفاق على وجود هيئة دولية تحدد الإرهاب و من هو الإرهابي، ومن يحاسبه... فكل هيئة من الهيئات دولية تنتظر من منظورها الايديولوجي و على ذلك الأساس تصنف الإرهاب... فنجد من يصنف الشعوب التي تكافح من أجل تحريرها من الإستعمار بأنها حركات إرهابية...

المطلب الثاني: تاريخ العنف والإرهاب :

يعد العنف سلوكاً فطرياً لدى المخلوقات ومنها الإنسان، والذي خلقه الله تعالى بصفات نفسية منها: النفس الأمارة بالسوء والتي تحث الإنسان على المساوئ كالعنف والأنانية وحب التملك والشهوات... وهذه الصفة النفسية تطغى بقوة مالم يتحكم بها الإنسان من خلال المبادئ والأخلاق... والتاريخ البشري حافل بظواهر العنف و الإرهاب وبصراع الخير والشر منذ عهد سيدنا آدم مروراً بقتل قابيل لأخيه هابيل، بسبب الغيرة و الحسد... وتتابع الصراع بين البشر على مر الأزمنة وهذه حركة الإنسان عبر التاريخ، منهج للخير وفيه يستغفر الإنسان ربه إن أخطأ ويحاول أن يروض نفسه ويسيطر عن شهواتها ويهذب سلوكها ويصلحه بالإبتعاد عن العنف و الظلم قدر المستطاع، و بالمقابل نجد منهج الشر والعنف والذي يقوم على أسس النفس الأمارة بالسوء وماتحت عليه من شهوات و أهواء، فأصحاب هذا المنهج يمشون وراء دوافعهم و إنفعالاتهم المتقلبة مستخدمين العنف و القوة و الإرهاب لتحقيق مايرغبون به، ضاربين المبادئ

¹ بتصرف، حسن حنفي، الإرهاب المزدوج، المجلة الديمقراطية، مؤسسة الأهرام، المجلد 2، العدد الخامس، 2002، ص 73.

و الأخلاق والقيم عرض الحائط، وهذا لا يعني أن أهل الحق لا يحتاجون إلى القوة في بعض الأحيان إن إستلزم الأمر للدفاع عن مبادئ الحق ولنصرة المظلومين، وهذا مانجده في قصص الأنبياء والمرسلين في القرآن الكريم في رحلة نشرهم لدين الحق فنجد أنهم قد تعرضوا و أتباعهم للظلم والقهر والإرهاب لإسكاتهم وردهم عن نشر دين الله.

وسجل التاريخ أيضا صراعات المسيحيين فيما بينهم ومع مخالفهم أيضا، وما استخدموه من وسائل وأساليب مختلفة للإرهاب والعنف¹، بدأ من تاريخ قسطنطين الثاني ومؤتمر نيقية عام 325م، ومرورا بالحروب الصليبية والحروب الدامية التي غرقت فيها أوروبا عشرات السنين، وسجل التاريخ صراع الكنيسة مع رجال الفكر والعلم في القرن السادس عشر حيث قامت محاكم التفتيش، وحركة البروتستانت وحركة المتطهرين التي قامت في بريطانيا، وهاتان الحركتان طالبتا بالرجوع إلى العهد القديم مع العهد الجديد، وسموا عملهم أصولية، وتميزت حركتهم بالتطرف ضد الباباوية، وعنهما إنبتقت الصهيونية التي تضم اليوم اليهود وغير اليهود تحت أسماء مختلفة².

ونجد أيضاً في القرن العشرين العديد من الحركات الإرهابية كالفاشية والنازية والصهيونية و التي يشهد التاريخ لها بالمجازر ضد الأبرياء .

وكذلك سجل التاريخ الإسلامي ظواهر من التطرف والإرهاب، وأبرزها حركة الخوارج والتي كانت من أخطر الحركات الإرهابية المتطرفة التي عرفها العالم الإسلامي، حيث أنهم قتلوا الإمام علي رضي الله عنه، وكفروا كل من يعارضهم ويخالفهم الرأي، كما أباحوا دماء المسلمين الذين ينتمون للطوائف الأخرى...وتوالى بعدها ظهور حركات متطرفة من القرامطة إلى الحشاشين..إلى سائر الغلاة وصولاً غلى يومنا هذا، حيث نرى حركات وأفراد يمارسون الغش الفكري ضد الناس، ويلبسون الحق خداعاً وتمويهاً..للقيام بأفعال تحقق أغراض هؤلاء المغرضين أو أغراض أسيادهم³.

المطلب الثالث: أسباب العنف والإرهاب عند المسلمين:

الإرهاب ليس نتيجة لعامل واحد بل هو محصلة لجملة من العوامل نذكر أهمها:

أ_ الغلو والتطرف: فهو البوابة الرئيسة للإرهاب، قال شيخ الأزهر (جاد الحق علي جاد): "من أسباب الإرهاب الغلو في الدين و الذي يكون بسبب المبالغة في الإندفاع دون بصيرة طلباً لنوال أعلى الدرجات

¹ انظر ، جلال العالم، قادة الغرب يقولون : دمروا الإسلام و أبيدوا أهله، ط2، دار الأمل ،بيروت، 1975م.

² أسعد السرحماني، الإرهاب والعنف وموقف الدين منهما، مؤتمر العالم العربي وتحدياته في ظل النظام العالمي الجديد، باريس، 25_28 يناير 1993م، ص352.

³ المرجع السابق، ص374.

في الدين، واحتلال أرفع المنازل، وغالباً ما يوافق هذا الإندفاع حركة متسعة، واضطراب في الرؤية والفكر، وفساد في تصور الحقيقة.

ب- سوء فهم حقيقة الدين: ومن الأسباب المنطقية أيضاً للإرهاب هو سوء فهم حقيقة الدين، والذي سببه إجتهد المغالي نفسه أو إجتهد معلمه ورائده الذي تلقى عنه هذه المغالاة، أو أيضاً إدخال الرأي الشخصي في قضايا الدين وأحكامه وشرائعه، دون أن يتأهل لذلك بالعلوم والأدوات المناسبة¹

ج- هوى النفس وأمراضها: إتباع أهواء النفس يعتبر مرض إن خرج عن السيطرة فهو يجعل الإنسان عبداً لشهواته ورغباته، كما يحوله إلى أداة بيد الأعداء يوظفونه ضد الإسلام والمسلمين دون أن يدري.

د- قصر النظر وقلة الوعي: يقول الشيخ (محمد الغزالي) رحمه الله، في حديثه عن التطرف والإرهاب ومنتسبيه المستترين بالدين: "المصيبة أن بعض المتحدثين في الإسلام لديهم مقدار هائل من قصر النظر وقلة الوعي، والأدهى أن يتحول هذا الفكر السقيم إلى مبدأ تؤلف فيه كتب وتنتهي عليه مواقف"² ويقول أيضاً: "رأيت بعض أدعياء التدين فوجدت في ملامحهم جهامة، وهبت من شمالهم ريح منفرة واستطالة على الناس بغير شيء"³.

ويقول أيضاً: "إن هذه العقليات أنزل رتبة من أن تؤمن على مستقبل شركة مساهمة، فكيف يباح لها التحدث عن دين كبير ورسالة أورثت الإنسانية أرقى حضاراتها..."⁴

هـ- الطاعة العمياء لأمر الجماعة: تستغل الحركات المتطرفة الأفراد المندفعين، ويستغل قاداتها الطاعة العمياء غير المبررة للتحكم في الأفراد المنتسبين لهذه الحركات، ويصل هذا الإستغلال إلى درجة تكفير كل من يخالف أو يفكر برفض الطاعة... وهذه الطاعة العمياء يتعثرها الدكتور أحمد كمال أبو المجد، سبباً من أسباب الإرهاب، فقال: "الطاعة المطلقة لأمر الجماعة والذي قد لا يكون على علم بمقاصد الشريعة وأحكامها، أو دراية بأساليب العمل الجماعي والسياسي... أو تقوى تجعله يحتاط في أمور الدماء والأموال والأعراض، إن هذه الطاعة المطلقة التي تستند إلى التبعية في المنشط والمكره هي الباب الذي يندفع منه جموع الشباب المندفع إلى إهلاك الحرث والنسل من حولها دون أن تتوقف لتراجع

¹ جاد الحق علي جاد، النبي في القرآن الكريم، منشورات الأمانة العامة للجنة العليا للدعوة الإسلامية، القاهرة، الأزهر الشريف، 1991م، ص 92-93.

² محمد الغزالي، تراثنا الفكري في ميزان الشرع والعقل، ط1، دار الشروق، بيروت، 1991م، ص 81.

³ المرجع نفسه، ص 71.

⁴ المرجع السابق، ص 53.

أو تتدبر أو تتساءل¹، وفي ذات السياق يقول الشيخ محمد الغزالي عن الطاعة: "فقوانين السمع والطاعة التي سنّها الإسلام... لم يقصد بها إلّا حفظ المصلحة العليا للجماعة، فكأنما أملت بها غريزة البقاء وضرورة الحياة، ولا مجال البتة لجعلها متنفس هوى جامح أو شهوة عارضة... أما الطاعة العمياء التي لا لشيء إلا لأن القائد أمر، وأمره واجب الإنفاذ فذلك منكر كبير وجهالة فحشة لا يقرها شرع ولا عقل..."²

و- التعصب للتنظيم أو الحزب: من الأسباب التي تؤدي إلى الإرهاب، التعصب للحزب أو التنظيم وليس للحق الذي جاء به الإسلام، وفي هذا الصدد يقول الدكتور فتحي يكن: "تعاين الحركات الإسلامية والتنظيمات من آفات عدة، أهمها أفة التعصب للحزب أو الجماعة أو الحركة، وقد تتفاقم هذه الآفة فتعمي وتضم، وبدل أن يكون التعصب للحق، والنزول عند حكم الشرع هو الأساس، يحل محله التعصب للتنظيم ولأشخاص التنظيم، ولسياسة التنظيم، وبدل أن تكون الدعوة للإسلام تصبح الدعوة للتنظيم ولو من غير إسلام و بدون التزام، إن ظاهرة التعصب لهذه الفئة أو تلك بدعة خطيرة وانحراف مريع في التفكير والتصور والسلوك و التربية، إن هذا لا يعني رفض الانتماء إلى التنظيمات و الحركات، إنما المطلوب أن يكون الانتماء إلى الإسلام قبل التنظيمات، وأن يكون الولاء لله قبل الأشخاص..."³

ز- سطحية الثقافة والعلم: ومن أسباب التطرف المؤدي إلى الإرهاب، بساطة وسطحية العلم والثقافة، مما جعل بعض أفراد الحركات الإسلامية يلجأون لإستخدام العنف لعدم قدرتهم على تمييز بين خصوصيات الأحداث ولغياب الرؤية العميقة والواضحة للأمور... وكل هذا يؤدي إلى وضع الأمور في غير مواضعها.

المبحث الرابع: من عيوب بعض الخطابات الدعوية المعاصرة "الهروب من الحاضر إلى الماضي".

المطلب الأول: الهروب إلى الماضي:

يحمل ماضي الأمة المسلمة في ثناياه، تاريخها بمزاياه وعيوبه، ويحمل حاضرها الواقع بألمه وأوجاعه ومشاكله وإحباطاته وإنهزاميته... وفي كثير من الأحيان عندما يصاب الفرد باليأس و الإحباط، من واقعه المؤلم فإنه يهرب بفكره وخياله إلى الماضي ليسلط الضوء على الإنجازات والنجاحات القديمة للأجداد، ليخفف عن نفسه صدمة الحاضر... ويتمنى ذلك المحبط أن يبقى في الماضي ولا يعود إلى الحاضر...

¹ أحمد كمال أبو المجد، حوار لا مواجهة، دار الشروق، القاهرة، 1988م، ص56.

² محمد الغزالي، من معالم الحق في كفاحنا الإسلامي الحديث، ط3، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ص333.

³ فتحي يكن، احذروا الإيدز الحركي، ط4، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1993م، ص28.

ومما لاشك فيه أن الماضي والتاريخ هو جزء مهم من الهوية لأي فرد أو أمة، وحلقة من حلقات متسلسلة من الحياة، والماضي لا ينبغي تجاهله بل وجب الإطلاع عليه والإعتبار منه، ولكن المشكلة هي أن نهرب من واقعنا ونرجع إلى الماضي ونعيش فيه فتكون أجسادنا في الحاضر وعقولنا في الماضي... والأدهى والأمر من ذلك، أن يقع في هذا الفخ الدعاة، الذين يفترض بهم أن يكونوا أصحاب فكر متزن يوفق بين الماضي والحاضر.

المطلب الثاني: الماضي ليس مقدسا:

يسهر على كتابة التاريخ رجال ليسوا بالمعصومين ولا المنزهين، بل بشر مثلنا لهم هامش الخطأ كما لهم هامش الصواب، ولكل منهم ظروفه... كما أن أحداث التاريخ نفسها ليست بالشيء المقدس بل هي عبارة عن مجموعة من الأحداث المتنوعة بخيرها وشرها صنعها بشر مثلنا... ولوعدنا إلى أسباب الخلافات بين الطوائف الإسلامية المعاصرة لوجدنا أن أسباب ومواضع الخلاف تنحصر في الماضي، وفي أغلب الأحيان تكون خلافات سياسية، ومع الأسف نجد أن الكثير من المسلمين يتعاملون مع الماضي وعلمائهم واجتهاداتهم على أنها شيء مقدس وغير قابل للنقد أو التمييز مع أن العلماء في الماضي لما اختلفوا في الرأي والاجتهاد كان إختلافهم رحمة للعالمين... مع أنه في بعض الأحيان كانت تتغلب النزعة الجاهلية فتبتعد ببعض منهم عن المنطق والعقل فيتعصب لرأيه ولا يتقبل رأي غيره.

والقرآن الكريم أكد لنا مراراً وتكراراً بأننا لسنا مسؤولين عن ماضي غيرنا بل مسؤولون فقط عن تصرفاتنا قال تعالى: { تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ } (البقرة: 132) فالله تعالى لا يسألنا ولا يحاسبنا عن أعمال الأمم السابقة... فمالفائدة من التناحر والقاتل على ماضي لن لا علاقة لنا به و لن يعود، أليس من الأولى أن نبحث كيف نوحّد صفوفنا وكلمتنا وجهودنا ونجد حلولاً لمشاكلنا الواقعية وأن لا نكون قضاة على ماضي قد ولى وفات؟ يجب أن نستفيد من الماضي لنصلح واقعنا، لا أن يكون ماضينا سببا في تفريقنا وخاصة وأن أعداءنا يترصدون بنا ويعون لتفريق صفوفنا وحطيم وحدتنا وقوتنا...

كما يجيب أيضاً أن نعيش واقعنا ونحن حاضري الأذهان والأجساد، نسخلص من ماضينا ماينفع حاضرننا ومستقبلنا، فكثير من الشعوب تجاوزوا فعلا تاريخ حروبهم وخلافاتهم، وفكروا في مستقبلهم و في القوة التي ستولد من وحدتهم، فإنطلقوا في بناء مستقبل واعد مستفيدين من تجارب الماضي و دروسه...

وفي المقابل يعيش الكثير من الملمين وخاصة الدعاة، حالة من النشوة المفتعلة عندما يتحدثون عن مآثر الماضي وإنجازات الأجداد وبطولاتهم، أو قد يجدون في التاريخ مادة جدلية للكتابة والخطابة والنقاش والتأليف دون أن يستخلصوا فوائد من هذا الماضي لصناعة حاضر ومستقبل أفضل.

المطلب الثالث: الإسلام يخطط للمستقبل:

من المؤكد أن الدين الإسلامي دين يهدف للمستقبل ويحمل دائماً في ثناياه نظرة استشرافية للأمور، فالتوبة من الذنوب والخطايا والإستغفار والتطلع إلى المغفرة والسعي للدخول إلى الجنة والنجاة من النار... كل ذلك يعتبر تخطيطاً للمستقبل، وفي القرآن الكريم حديث عن الأمم السابقة لناخذ منهم العبرة ونمضي قدماً وتأكيد من الله تعالى على أننا لا نتحمل مسؤولية ماضي غيرنا، قال تعالى: { تِلْكَ أُمَمٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ } (البقرة: 132) .

ويفترض أن إطلاعنا على الماضي يكون للعبرة ، ويكون دافعاً لوحدة الصفوف والتفاعل الإيجابي المبني على المحبة والتأخي و من واجب الدعاة أن يتأملوا في واقعهم المعاصر ويفقهوا مشاكله ونوازله وأن يخططوا للمستقبل القريب و البعيد، وأن يأخذوا من الماضي مايفيد الأمة، فالماضي قد مضى وإنتهى، وعلينا أن نعيش واقعنا ونخطط لمستقبلنا وأن نأخذ بعين الاعتبار متطلبات عصرنا الذي نعيش فيه ،قال تعالى: { رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ } (البقرة: 201) .

المبحث الخامس: الخطاب الدعوي المعاصر المنشود.

من أجل الوصول بالخطاب الدعوي المعاصر إلى المستوى الراقي المنشود ،لابد على الدعاة أن يتوقفوا قليلاً ليعيدوا ترتيب أوراقهم، ويتداركوا هفواتهم ليتمكنوا من مواصلة التخطيط والعمل من أجل الوصول بالعمل الدعوي إلى المستوى المطلوب، ومن الأمور التي ينبغي أن لا يغفل عنها الدعاة مايلي:

المطلب الأول: تنظيم الخطاب الدعوي المعاصر :

بمعنى أن يصبح الخطاب الدعوي المعاصر تحت ولاية علمية منهجة، كأن يتم تأسيس جهة مرجعية موحدة تشرف على العمل الدعوي، تسهر عليها نخبة من العلماء والدعاة من أصحاب العلم والرشد والوعي ،ويكون لهذه الجهة المرجعية نوع من الإشراف و التوجيه لكل الحركات والتنظمات الدعوية الإسلامية في كل بلاد العالم، وهذه الجهة المرجعية تستمد شرعيتها من خلال تزكية جمهور الدعاة وعلماء العالم الإسلامي ... لتكون بذلك قادرة على الفصل في النزاعات و المواقف والأحداث المهمة ،كما يمكن أن ينظم العمل الدعوي أيضاً من خلال إنشاء مراكز بحثية متخصصة في الدعوة تحت إشراف هذه الجهة المرجعية؛ لتقديم الدراسات التأصيلية للنوازل المتعلقة بالدعوة ومناهج التغيير والبناء الحضاري وغيرها من

المسائل المصيرية، فالعمل الدعوي المعاصر يحتاج فعلاً إلى تكاتف الجهود للبحث و العمل في مختلف التخصصات من أجل النهضة بالدعوة والوصول بها إلى أرقى المراتب .

المطلب الثاني: العمل بفقهاء الأولويات:

وتربية الدعاة عليه، وفقه الأولويات هو فهم وإدراك أهمية ترتيب الأعمال والمشاريع الدعوية ووضع كل شيء منها في مرتبته الأنسب، ثم تقديم الأولى فالأولى عند الازدحام، بناءً على ضوابط شرعية صحيحة مستقاة بالعقل السليم من فهم الواقع والعلم الشرعي فلا يقدم غير المهم على المهم، ولا المهم على الأهم، ولا المرجوح على الراجح، بل يقدم ما حقه التقديم، ويُؤخر ما حقه التأخير، بل يوضع كل شيء في موضعه ، بلا غلو ولا إفراط ولا تفريط.

ونذكر على سبيل المثال القاعدة الفقهية: "إذا تعارضت المصالح قدم الراجح منها على المرجوح"، وقاعدة: "إذا تعارضت مفسدتان روعي أعظمهما بارتكاب أخفهما"، وقاعدة: "لضرر الأشد يُدفع بالضرر الأخف"، وغيرها من القواعد التي تنظم فقه الأولويات.

المطلب الثالث: التآسي بالقرآن الكريم في الخطاب:

فالقرآن هو كتاب الله الذي نزل لهداية الناس، وهو خطابٌ من خالق الإنسان الذي يعلم أسرارهِ وأحواله وما ينفعه وما يضره، ويعلم مداخل نفسه ومسارها، فلا شك أن طريقة الله تعالى في مخاطبة الناس ودعوتهم تعتبر أسلم طريقة وأقربها لفطرة هذا الإنسان؛ فينبغي على الداعية أن يسترشد بطريقة القرآن في مخاطبته للفطرة، وفي ربط الإنسان بالكون وما فيه من آيات، وفي طريقته في البلاغ والإقناع، وفي جمعه بين مخاطبة العقل والمنطق ومخاطبة المشاعر و الأحاسيس، وغير ذلك مما تميز به الأسلوب القرآني.

إن القرآن الكريم له طريقة مميزة في معالجة الأمور وفي تربية النفس البشرية، وهي أنه يربطها بسنن الله في خلقه؛ علمنا أن تحليل الأمور ودراستها بمنأى عن السنن الإلهية تخبّط لا فائدة من ورائه واجتهدنا في التعرف السنن الربانية وفي ربط كل ما يجري من وقائع وأحداث بهذه السنن، وهذا من تمام فقه الواقع الذي لا غنى عنه لتغيير حال الإنسان نحو الأفضل.

ونذكر جيداً أن الله سبحانه وتعالى هو أعلم بتركيبية الإنسان وهو أعلم بما يناسبه من الخطاب وأن نداءه بالخطاب القرآني يؤثر في فطرته، لذلك وجب علينا أن نتخذ الخطاب القرآني قدوة في تشكيل الخطاب الدعوي المعاصر القادر على التأثير في الناس.

وهذا الطرح يؤكد لنا أهمية الدراسات التي تتعلق باستنطاق القرآن الكريم ، لا سيما ما يتعلق بجوهر رسالة القرآن وهو هداية الإنسان وإسقاط دلالاته على الواقع الذي نحياه ويحياه الناس .

المطلب الرابع: التدقيق و التأصيل في الخطاب الدعوي المعاصر:

وذلك بجعل الخطاب الدعوي المعاصر يتسم بالسمات العامة لخطاب القرآن الكريم والسنة النبوية ويقوم على ذات المعالم، وينطلق من نفس المنطلقات، ويتوجه إلى نفس الأهداف مثل: وضوح الدلالة والقدرة على الإقناع وقوة الحجة، تنوع الأسلوب وشمول الخطاب وعمومه كافة مناحي الحياة وتميزه بالأصالة والمعاصرة ، والمصداقية، والوسطية، والتوازن و الحكمة .

المطلب الخامس: تكوين الدعاة وتدريبهم :

يجب أن يتم إختيار الدعاة بدقة شديدة وأن يتم تدريبهم بأفضل الطرق الممكنة ليتمكنوا من حمل الرسالة الإسلامية وتبليغها للناس على أحسن وجه... وللوصول إلى ذلك لا بد من ترسيخ عدة أمور في أذهان الدعاة منها: صدق النية و الإخلاص في العمل الدعوي، و القدرة على جهاد النفس وتركيتها وبعد النظر وحسن التخطيط، وإكتساب مهارة الإجتهد وإمتلاك أدواته والبعد عن التبعية العمياء والتحلي بأخلاق القرآن الكريم، تقبل الرأي الآخر والقدرة على الحوار، قوة الشخصية وتمثل القدوة، واللين في التعامل والسماحة والبعد عن الغلو والتطرف والتعصب والإرهاب والغلظة والفظاظة في القول والفعل، ضف إلى ذلك الفهم الكلي للإسلام والذي لا يكون إلا من خلال الإطلاع على على جملة من العلوم مثل: التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، والدراسة الموضوعية للسنة النبوية، ودراسات للسيرة النبوية تربط بينها وبين تاريخ التشريع وتاريخ النزول، وبعث الدراسات المقاصدية الكلية للشريعة، واستخراج النظريات العامة والنظم الكبرى في الشريعة الإسلامية، وجمع القواعد الكلية والضوابط العامة لأبواب الفقه الإسلامي، وإحياء الفقه المقاصدي، مع إذاعة فقه الاختلاف وآدابه، إلى غير ذلك من العلوم التي تسهم في رسم الصورة العامة للخطاب الدعوي المعاصر .

كل النقاط التي تم ذكرها على سبيل الذكر لا الحصر (تكوين الدعاة وتدريبهم، تنظيم الخطاب الدعوي المعاصر، الأخذ و العمل بفقه الأولويات ، التأسّي بالآن الكريم في الخطاب الدعوي المعاصر، التدقيق والتأصيل في الخطاب الدعوي المعاصر) لا بد أن نأخذها بعين الاعتبار من أجل النهوض بالخطاب الدعوي المعاصر ليكون قادراً على تبليغ رسالة الدين الإسلامي على أكمل وجه.

الخاتمة:

الخطاب الدعوي المعاصر هو: جملة ما يصدر عن الدعاة من رسائل (رموز إشارات كلام...) تحمل مضامين فكرية دعوية تتلاءم مع متغيرات و مستحدثات العصر، وذلك بعد فهم الدعاة لظروف واقعهم وواقع المدعويين شرط التقيد بالأطر المرجعية الإسلامية من أجل إقناع المدعو وجعله يستجيب للمضمون الدعوي.

وتتنوع مضامين هذا الخطاب اليوم بتنوع مصادره من حركات وتيارات فكرية إسلامية معاصرة... وبعاني هذا الخطاب في كثير من الأحيان من بعض العيوب والتي انعكست بدورها على مردود العمل الدعوي ونذكر من هذه العيوب على سبيل الذكر لا الحصر مايلي:

1- **الغلو والتطرف**: والذي أدى إلى نفور الجمهور المخاطب من هذا النوع من الخطاب الدعوي لأنه لا يتناسب مع الفطرة الإنسانية والتي تميل إلى التوازن والوسطية والرفق واللين، كما أنه عكس صورة سلبية عن الإسلام والمسلمين .

2- **الإرهاب**: والذي تسبب بأضرار جسيمة بالأمة الإسلامية، وعكس صورة مرعبة ومنفرة عن الإسلام والمسلمين.

3- **الهروب من الواقع إلى الماضي**: بمعنى الهروب من الواقع المؤلم نحو أمجاد الماضي، والذي شكل نوعاً من الغربة الفكرية لدى الأمة الإسلامية فلا هي تمكنت من مواجهة حقائق الواقع ولا خططت لمستقبل قريب أو بعيد.

وفي هذا الصدد توصلنا إلى مجموعة من النتائج و التوصيات والتي قد تساعد في تحسين الخطاب الدعوي المعاصر:

1- **إختيار الدعاة بدقة**، وتدريبهم على العمل الدعوي ومناهجه واساليبه (كتدريبهم على الفهم العميق والتحليل والموازنة بين الأمور وترتيب الأولويات، وتدريبهم على الأخذ بالسنن في كل الأعمال وتدريبهم على جهاد النفس وتزكيتها وتدريبهم أيضاً على الإجتهد الممنهج و المضبوط بضوابط شرعية وحثهم على الإبتعاد عن التعصب والغلو والتقليد الأعمى).

2- **إيلاء الخطاب الدعوي المعاصر أهمية كبرى** فهو قادر على تغيير الذهنيات والسلوكيات لدى جمهور المدعويين من المسلمين وغير المسلمين...

3- **الحرص على ربط الخطاب الدعوي المعاصر بما نعيشه اليوم** وتفعيل فقه الواقع ليتمكن هذا الخطاب من علاج القضايا والنوازل التي ترهق كاهل الأمة الإسلامية.

4-الحرص على إتباع المنهج القرآني في الخطاب والذي يتماشى والفطرة الإنسانية ويراعي سنن الإلهية في الكون والأنفس والذي يتسم أيضاً بسمات تحبب الناس في الإسلام وتجذبهم إليه كالرفق واللين و الرحمة والوسطية والإتزان.

قائمة المصادر والمراجع:

1. القرآن الكريم.
2. صحيح البخاري.
3. صحيح البخاري.
4. سنن الترمذي .
5. ابن فارس أبو الحسن أحمد بن زكريا،"معجم مقاييس اللغة"، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر،1979م.
6. أبو الفتح البيانوني،" المدخل إلى علم الدعوة" مؤسسة الرسالة، بيروت،1991م.
7. أحمد بن محمد بن علي الفيومي،(ت 1368م)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، دار المعارف القاهرة، الطبعة الثانية، ج1.
8. أحمد كمال أبو المجد،حوار لا مواجهة،دار الشروق ،القاهرة،1988م..
9. إدريس حمادي "الخطاب الشرعي وطرق استثماره"، بيروت: المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر،1994م.
10. أسعد السرحماني،الإرهاب والعنف وموقف الدين منهما،مؤتمر العالم العربي وتحدياته في ظل النظام العالمي الجديد، باريس،25_28 يناير 1993م.
11. الفيروز ابادي(ت 1414م)،القاموس المحيط" . ج2.
12. بسام الصباغ،"الدعوة والدعاة بين الواقع و الهدف"، دار الايمان للطباعة و النشر، دمشق سوريا،ط2،2002م.
13. جاد الحق علي جاد،النبي في القرآن الكريم،منشورات الأمانة العامة للجنة العليا للدعوة الإسلامية،القاهرة،الأزهر الشريف،1991م.
14. جلال العالم، قادة الغرب يقولون : دمروا الإسلام و أبيدوا أهله،ط2،دار الأمل ،بيروت،1975م.
15. جمال الدين محمد بن مكرم (بن منظور)(ت 711هـ). "لسان العرب ". بيروت .2003م.ج5.
16. حسن حنفي،الإرهاب المزدوج،المجلة الديمقراطية،مؤسسة الأهرام،المجلد2،العدد الخامس،2002.

17. الزمخشري " (ت 538 هـ) ،أساس البلاغة". دار الكتاب العالمية. بيروت.لبنان. الطبعة الأولى. 1998م. ج1.
18. طه عبد الرحمن، "اللسان والميزان و التكوثر العقلي" ، (الدار البيضاء: طبعة المركز الثقافي العربي، 1998م).
19. الطيب برغوث، "منهج النبي عليه الصلاة والسلام في حماية الدعوة و المحافظة على منجزاتها خلال الفترة المكية" ، المعهد العالمي للفكر الاسلامي، ط1، 1996م.
20. فتحي يكن، "احذروا الإيدز الحركي"، ط4، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1993م.
21. مجمع اللغة العربية القاهرة، المعجم الوسيط، ج2، دار الهدى ،القاهرة، ط3.
22. محمد أ رفت سعيد: "الأصالة والمعاصرة في الفكر الإسلامي" دار الوفاء للطباعة والنشر ، ط 1، 2000 م .
23. محمد ابن أبي بكر بن عبد القادرالرازي، "مختار الصحاح"، ط1، دار الكتاب العربي ،بيروت، 1967م.
24. محمد الغزالي ، "من معالم الحق في كفاحنا الإسلامي الحديث"، ط3، دار الكتب الحديثة، القاهرة.
25. محمد الغزالي، "تراثنا الفكري في ميزان الشرع و العقل"، ط1، دار الشروق، بيروت، 1991م.
26. محمد عمارة: "زمة الفكر الإسلامي المعاصر"، دار الشرق الأوسط للنشر، القاهرة، (د ط)، (د ت).
27. محمد يونس، "تجديد الخطاب الإسلامي". مكتبة الدار العربية للكتاب. القاهرة. الطبعة الاولى 2013.
28. يوسف القرضاوي، "الصحة الإسلامية بين الجمود و التطرف"، مجلة المنار الإسلامي، عدد، 16، ديسمبر 1990م.